ماذا حدث الساعة الثالثة صباحا فى جناح حسنى مبارك بواشنطن؟

ابراهيم صالح

التحقيق

فى الساعة الثالثة من صباح يوم الجمعة ٢٣ مايو ١٩٨٠ ، اضيئت الأنوار فى جناح حسنى مبارك فى مقر إقامة الوفد المصرى بواشنطن ، وقبل مضى ساعة كان قد أيقظ معاونيه . وأضيئت باقى حجرات الوفد المصرى . وبدأ الوفد اجتماعات عمل متوالية ومكثفة . وانزعج رجال الأمن الأمريكى . إن اتصالا لم يحدث مع القاهرة . ولا اذاعت وكالات الانباء شيئا غير عادى . فلماذا لم ينم الوفد المصرى ؟ ! ! . .

كانت الحقيقة ببساطة . . لقد ناموا كفايتهم . ولكن أجهزة اجسامهم بدأت تيقظ فى المواعيد التى تعودت عليها تلقائيا فى القاهرة . لم تراع أجهزة أجسامهم ، ولا تنبهت أجهزة الأمن الأمريكى . . إلى وجود فروق فى التوقيت (٦ ساعات) بين القاهرة وواشنطن . كان كل الاهتمام والتركيز على . . عدم وجود فروق فى المواقف بين القاهرة وواشنطن ! !

هكذا كانت بداية عمل ومباحثات السيد حسنى مبارك نائب رئيس الجمهورية ، فى واشنطن . وفيها أيضا مؤشر إلى النتائج . ولكن . . بعد البداية أحداث كثيرة تجعل للنتائج معنى ومغزى . وقبل البداية أحداث كثيرة تجعل للرحلة أسبابا وأهدافا .

ولنبدأ تساؤلاتنا مما قبل البداية . . إلى ما بعد النتائج .

ما قبل البداية هو ، الجو العام ، الذى جعل هذه الرحلة ضرورية ، ودفع الرئيس السادات إلى اتخاذ القرار بها . لقد وجدت مصر نفسها تواجه موقفين .

الأول . . موقف أمنى مع استمرار التحرشات بمصر ، وحركات الالتفاف فى أفريقيا ، وتحركات مريبة فى ليبيا ، وإثارة إثيوبيا لموضوع مياه النيل وتحويلها إلى سيناء المصرية ، وهذا الموقف يضع مصر أمام التزاماتها الأمنية فى المنطقة

الثانى . . موقف سياسى ناشىء عن ركود مباحثات الحكم الذاتى الفلسطينى ، مما جعلها متوقفة من الناحية العملية . فلا اجتماعات على أى مستوى .

■ لماذا ؟

– بسبب تحجر الموقف الاسرائيلى فى المفاوضات وجموده . محاولة بذلك التخلص من المأزق الذى وجدت نفسها فيه . بمحاولة إلقاء اللوم على مصر واتهامها بأنها تثير المشاكل حول مواقف اسرائيلية معروفة مسبقا .

■ وكيف وصلت اسرائيل إلى هذا الموقف ؟

الرئيس كارتر أبلغ السيد حسنى مبارك بموافقته على جميع طلبات الرئيس السادات

اكتشاف اسرائيلى ! !

– لقد اكتشفت اسرائيل فجأة – ! ! – أن هناك عوامل كثيرة تعمل لصالح القضية الفلسطينية ، على عكس ماكانت هى تتصور أنها قادرة أن تفعل . مثلا :

١ – بتوقيعها هى شخصيا على اتفاقية كامب ديفيد ، اعترفت بوجود الشعب الفلسطينى ، وبحقوقه المشروعة ، والتزامها بالتفاوض مع ممثليه ، واعتبار الوضع الحالى فى الضفة الغربية وغزة غير نهائى . وهى أوضاع تتحرك بقوة دفع ذاتى فى اتجاه معاكس للأهداف الإسرائيلية الخفية .

٢ – إجماع عالمى على أن حل المشكلة الفلسطينية هو جوهر عملية السلام كلها . وأن الأمن لكل الأطراف وليس لإسرائيل فقط .

٣ – رفض عالمى لسياسة الاستيطان

٤ – رفض عالمى لإجراءات اسرائيل فى القدس ومحاولة جعلها عاصمة موحدة

٥ – وبالتالى . . رفض دولى لكل مواقف إسرائيل فى مفاوضات الحكم الذاتى الفلسطينى .

وهكذا بدأت اسرائيل تعيش فى حالة اعادة تفكير سياسى فى عملية السلام . السلام الفلسطينى بالذات . وأمام إحساسها بالعجز راحت تدفن رأسها فى الرمال . رمال النظريات الصهيونية التوسعية ، حتى لا ترى الواقع . . الواقع فى داخلها . والواقع فى المنطقة . والواقع العالمى . وفى لحظة يأس أعلنت اسرائيل عن اعتمادات لبناء ١٤ مستوطنة جديدة . وقدمت مشروع قانون لتكنيست بجعل القدس عاصمة لإسرائيل .

وثار الرأى العام العالمى . وكان لابد لمصر أن تتحرك .

□ فى يوم الخميس ١٥ مايو اصدرت مصر قرارها بوقف المفاوضات

□ فى الساعة الثامنة والنصف صباح يوم الجمعة ١٦ مايو ، كان الدكتور أسامة الباز وكيل أول وزارة الخارجية فى مكتبه ، وحتى الساعة التاسعة مساء – أى على مدى التى عشرة ساعة ونصف الساعة – يرد على استفسارات الرأى العام العالمى ممثلا فى مراسل الصحف والاذاعات والتليفزيون .

وقالت مصر رأيها بوضوح . إننا على استعداد لاستئناف المفاوضات فى أية لحظة ، ولكن . . بدون شروط مسبقة .

■ أليس طلب مصر أشياء معينة من اسرائيل قبل بدء التفاوض يعتبر شروطا مسبقة ؟

– نحن لا نطلب شيئا جديدا . فقط إبقاء الحال على ما هو عليه . ولحكم نتيجة التفاوض . وكل شىء قابل للتفاوض . هكذا طلبت اسرائيل منذ البداية . فلماذا تتراجع الآن ؟ !

■ وأين شروط اسرائيل المسبقة ؟

– ما تفعله الآن . نحن لا نتكر على اسرائيل أن يكون لها مواقف فى موضوعات المفاوضات ، فنحن أيضا لنا مواقفنا . فليكن لها مواقف فى موضوع القدس ، أو سلطات الحكم الذاتى ، أو تفسير فكرة الامن على هواها . أما أن تتحول المواقف إلى قرارات ، والقرارات إلى اجراءات ، والاجراءات إلى تنفيذ ، فهذه هى أقصى صور الشروط المسبقة . . صورة الأمر الواقع ومحاولة فرضه على المفاوضات مسبقا . فلماذا إذن التفاوض ، إذا كانت هى تحسم من جانب واحد – جانبا – الموضوعات التى تتفاوض حولها .

القرار

□ فى يوم السبت ١٧ مايو ، وبعد اجتماعات ودراسات لتطوير الموقف ، اتخذ الرئيس أنور السادات قراره برحلة عاجلة إلى واشنطن ، وأن يمثل مصر فى ذلك السيد حسنى مبارك

فواشنطن كان يجب أن تكون البداية بالنسبة للموقف بشقيه . الأمنى والسياسى . فهى أحد المصادر الرئيسية للسلاح المصرى ، وهى الشريك الثالث الفعال والكامل فى مفاوضات الحكم الذاتى الفلسطينى . وهى بوضعها – بالنسبة لإسرائيل بالتحديد – صاحبة ٩٩ ٪ من أوراق اللعبة .

أما اختيار السيد حسنى مبارك ، فلأن هذه المباحثات تتطلب حديثا وقرارا على مستوى عال . وقد حلق نائب الرئيس كسياسى . نجاحا واضحا فى رحلاته الخارجية السابقة ، تماما كما حلق – كطيار – نجاحا تاريخيا للطيران المصرى فى نصر أكتوبر العظيم . ولذلك فليس غريبا أن تدرب « طياره » السياسة فى عددها من « طياره » القتالية والتدريبية . فقد قام حتى الآن بحوالى عشرين رحلة خارجية تضمنت حوالى

٢٢٠ ، طلعة ، فى ١٠٠ زيارة لحوالى ٣٥ دولة .

فبعض الدول زارها أكثر من مرة . أطول رحلاته استغرقت ثلاثة أسابيع زار فيها الصين وكوريا الديمقراطية والولايات المتحدة الأمريكية . وأكبر رحلاته زار فيها ١٧ دولة فى خمسة عشر يوما .

□ فى يوم الأحد ١٨ مايو أرسلت مصر إلى الولايات المتحدة ، من خلال السفير الأمريكى فى القاهرة والسفير المصرى فى واشنطن ، تبدى رغبتها فى إتمام هذه الزيارة .

وفى نفس اليوم وصل الرد فورا بالترحيب

□ وتحديد يوم الخميس ٢٢ مايو موعدا لبدء الرحلة .

طلبات مقبولة

وفى الساعة الثالثة صباحا بتوقيت واشنطن (التاسعة صباحا بتوقيت القاهرة) بدأ السيد حسنى مبارك نشاطه . بدأ باجتماع مع أعضاء الوفد المرافق له ، وانتهى باجتماع مع الدكتور مصطفى خليل الذى كان قد سبق نائب الرئيس إلى هناك (فى زيارة خاصة) وقام باتصالات على جانب كبير من الأهمية . وكان توقيت بداية هذه الاجتماعات هو الذى أزعج الامن الأمريكى .

أما المباحثات والمؤشرات التى تعطيها ، فى بلدنا مثل عامى يقول . . « الجواب بيان من عنوانه » . والعنوان هنا هو أول لقاء فى هذه الرحلة .

كانت الساعة الحادية عشرة فى واشنطن . الرئيس كارتر يستقبل السيد حسنى مبارك فى البيت الأبيض بترحاب شديد . ويهمس نائب الرئيس فى أذن الرئيس كارتر . فيضحك كارتر قائلا : أنا لا أستطيع أن أرفض طلبا للرئيس السادات . وقال : "your wish is our command" ثم استأنف قائلا : بل . . لا يستطيع أى مسئول أمريكى أن يرفض طلبا للرئيس السادات ، لأنه أكثر شعبية هنا من أى مسئول أمريكى ! ! . .

وانجه الاثنان وحدهما إلى المكتب البيضاوى فى البيت الأبيض . وأغلق الباب خلفهما . وعلى الجانب الآخر من الباب كان يجلس ماسكى وزير خارجية أمريكا ، وبرزنسكى مستشار الرئيس كارتر للأمن القومى ، و د . أسامة الباز وكيل أول وزارة الخارجية المصرية ، و د . أشرف غربال سفير مصر فى واشنطن .

وعندما فتح الباب وخرج الرئيس الأمريكى ونائب الرئيس المصرى ، نظر الرئيس كارتر إلى أعضاء الوفدين ، وقال ضاحكا : « أعتقد أننا لسنا فى حاجة إليكم . فأنا موافق على كل طلبات الرئيس السادات . ولكن . . لعلكم تريدون معرفة ما تم من باب العلم بالشىء . . لا مانع . . مقبول لكم » ! !

هكذا كانت البداية . فكانت أيضا ٩٠ ٪ من انجازات الرحلة .

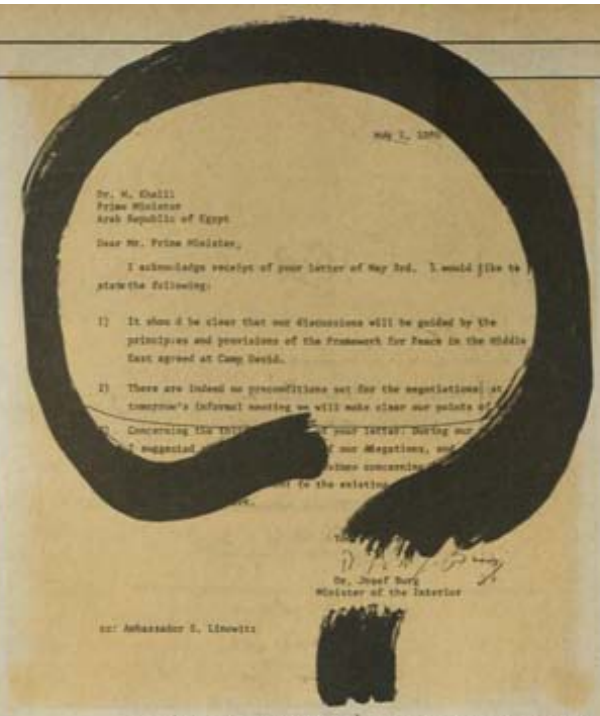

Dr. M. Khalil
Prime Minister
Arab Republic of Egypt

Dear Mr. Prime Minister,

I acknowledge receipt of your letter of May 3rd. I would like to state the following:

1) It shou d be clear that our discussions will be guided by the principles and provisions of the Framework for Peace in the Middle East agreed at Camp David.

2) There are indeed no preconditions set for the negotiations[at tomorrow's informal meeting we will make clear our points of

Concerning the

Dr. Josef Burg
Minister of the Interior

cc: Ambassador S. Lineweiz

خطاب بورج خليل بقبول التفاوض على أساس كامب ديفيد وبدون شروط مسبقة

أما ما حدث بعد ذلك فلم يكن أكثر من اجتماعات لوضع التفاصيل .

رسالة إلى إسرائيل

كان اللقاء التالى مع ماسكى وزير الخارجية على مأدبة غداء . وماسكى من ولاية « مين » ، ولا يعجبه طعام واشنطن . وقال لنائب الرئيس إنه كان يتمنى أن يكون الطعام من مين ، وأشهر اصنافها الخميرى والبطاطس .

وقد انتهى هذا اللقاء بقبول للموقف السياسى المصرى بدون تحفظ .

وتنفيذا لذلك بعث السفير ليتوفيتس ممثل الرئيس كارتر فى مفاوضات الحكم الذاتى ، برسالة إلى د . يوسف بورج ، أثناء وجود الوفد المصرى هناك ، طلب فيها أن تتعهد اسرائيل بعدم اتخاذ أى إجراءات فيما يتعلق بالقدس والضفة الغربية وغزة . وطالبها بأن تسرع فى اتخاذ اجراءات بناء الثقة التى سبق الاتفاق عليها .

ولم تتلق أمريكا ردا حتى الآن ! !

واجراءات بناء الثقة هذه ، كانت مصر قد سلمت بها مذكرات للأطراف المعنية بتاريخ ١٣ أكتوبر ١٩٧٨ . وتتضمن نقل الادارات العسكرية الإسرائيلية خارج المدن الفلسطينية ، والافراج عن المعتقلين والمحتجزين السياسيين ، والسماح بعودة بعض النازحين إلى ديارهم ، ورفع الحظر عن النشاط السياسى والاجتماعات .

ولم تفعل إسرائيل شيئا حقيقيا حتى الآن ! !

وزاد من اقتناع أمريكا بموقف مصر ، أن د . يوسف بورج ، وزير داخلية اسرائيل ورئيس وفدها فى مفاوضات الحكم الذاتى ، كان قد أرسل خطابا إلى د . مصطفى خليل يوم ٥ مايو ١٩٨٠ ، ردا على خطاب من د . خليل إليه بتاريخ ٣ مايو ١٩٨٠ ، يوافق فيه على أن المفاوضات قائمة على مبادىء ونصوص كامب ديفيد ، وبدون شروط مسبقة .

ولكن اسرائيل تراجعت بالأفعال ، وليس بمجرد الأقوال .

ولدى مصر وثائق وردت من سفارتنا بتل أبيب ، تتضمن نصوص قرارات وزير المالية الإسرائيلى بالاستيلاء على أراضى السكان العرب فى الضفة الغربية ، بل . . فى القدس العربية

وسلاح إلى مصر

ولم يستغرق اللقاء مع براون وزير دفاع أمريكا جهدا . فبعد موافقة الرئيس كارتر ، قام براون بوضع تفاصيل تعجيل مواعيد واجراءات تسليم الأسلحة التى اشترتها مصر

واقنع برزنسكى مستشار الرئيس كارتر للأمن القومى ، بوجهة نظر مصر فى الأمن فى المنطقة ، وموقف مصر بالنسبة للأحداث الخارجية حولها ودورها فيها .

وكان اللقاء بين نائب الرئيس وبرزنسكى مرحا . حتى إن برزنسكى دعاه إلى مباراة فى التنس . ولكن نائب الرئيس اعتذر لضيق الوقت وكثرة اللقاءات ، ووعد أن تتم هذه المباراة فى زيارة برزنسكى القادمة إلى مصر .

لقد استطاعت مصر فى هذه المباحثات ، أن تصل إلى تفاهم تام مع الولايات المتحدة الأمريكية حول الموقف القائم الآن فعلا ، والخطوات القادمة ، والظروف التى يمكن أن تستأنف فى ظلها مفاوضات الحكم الذاتى الفلسطينى ، وما الذى يجب عمله لتحريك الموقف إذا لم يحدث تقدم فى تلك المفاوضات

وأوربا أيضا

وفى طريق العودة من واشنطن إلى القاهرة ، شهدت أوربا نشاطا مصريا واضحا ومتفوقا . فقد توقف السيد حسنى مبارك نائب رئيس الجمهورية ، فى كل من ألمانيا الغربية وبريطانيا فى مباحثات هامة . وفى نفس الوقت كان د . بطرس غالى فى زيارة لإيطاليا .

فبعد أيام تجمع دول أوربا لتبحث بصفة رئيسية موقفها من مشكلة الشرق الأوسط . وهناك عناصر هامة وراء كل هذا الاهتمام الأوربى بالمشكلة . بينها مصالح أوربا الخاصة ، ومصالح الغرب بصفة عامة ، وازدياد الوعى السياسى الأوربى بالمشكلة الفلسطينية ، وأنها جوهر عملية السلام كلها فى الشرق الأوسط .

وقد استطاع نائب الرئيس المصرى أن يصل إلى تفاهم واضح مع أوربا فى هذا الشأن . واقتنعت بموقف مصر . وبأن الأسلوب المصرى هو الأسلوب السلمى للوصول إلى حل للمشكلة الفلسطينية المعقدة . وبالتالى فإنها يجب ألا تتحرك بعيدا عن طريق مصر ، ولا خارج إطار كامب ديفيد . وعلى هذا فستكتفى أوربا فى اجتماعها القادم بإصدار « بيان سياسى » برأيها فى الموقف ، ترفض فيه سياسة المستوطنات ، وإجراءات القدس ، وتعنت إسرائيل فى مفاوضات الحكم الذاتى الفلسطينى .

فى ألمانيا اجتمع السيد حسنى مبارك مع جنيشر وزير الخارجية ، لأن المستشار شميت كان فى جولة سياسية انتخابية . وقد ظل شميت يحاول الاتصال للبقوتيا بنائب الرئيس المصرى حتى استطاع أن يلحق به فى المطار قبل سفره .

وفى لندن اجتمع نائب الرئيس ، ومسز تاتشر رئيسة الوزراء ، وكارينجتون وزير خارجيتها . ومن هناك جرى اتصال للبقوتى بينه وبين د . بطرس غالى وزير الدولة للشئون الخارجية ، الذى كان قد وصل إلى روما ، لتنسيق الموقف المصرى مع أوربا ، والاطلاع على نتائج مباحثات نائب الرئيس فى كل من الولايات المتحدة الأمريكية وألمانيا الغربية وبريطانيا .

□ □ □

والآن . . بعد أن استقرت عجلات طائرة السيد حسنى مبارك نائب رئيس الجمهورية على أرض مصر . ماذا بعد ذلك ؟ . . ما هى التوقعات ؟ !

□ واضحة . . وسليمة .

نحن زرعنا بذرة صالحة وقوية . وأحد العناصر الرئيسية فى الزراعة . . الصبر . وبعض الزرع يزهر فى الخريف . . وإن تأخرت الثمار إلى الشتاء ! !

□